٩ ـ هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

أفيحلو لكم، أيها الاخوة، أن يخنقكم ما يتبخر من أشواق هؤلاء المسوخ ؟ حطموا النوافذ واقفزوا منها لتنجوا بأنفسكم

حاذروا هذه الأبخرة الخانقة وابتعدوا عن عبادة الأصنام فأنها دين الدخلاء على الحياة . حاذروا هذه الأبخرة وأعرضوا عن هذه الضحايا البشرية

لم يزل حتى الآن مجال تسمو فى رحبه النفوس الكبيرة نحو الحرية فى الحياة، ولم تخل الأرض من أماكن يلجأ إليها المتعزل منفرداً أو مزدوجاً حيث تهب نسمات البحر الهادئة . فأن الحياة الحرة لم تزل تفتح أبوابها لكبار النفوس ؛ والحق أن من يملك القليل لا يناله إلا اليسير من تحكم المتسلطين . فطوبى لصغار الفقراء !

لا يظهر الانسان الأصيل فى الحياة إلا حيث تنتهى حدود الحكومات ، فهنالك يتعالى نشيد الضرورة بنغماته المحررة من كل مطاوعة وتقييد

هنالك عند آخر حدود الحكومات ، قفوا وتطلعوا ، يا إخوتى ، أفما ترون تحت قوس قزح المعبر الذى يجتازه الانسان الكامل ؟

هكذا تكلم زارا

عشرات المجتمع

سارع إلى عزلتك، يا صديقى ، فقد أورثك الصداع صخب عظماء الرجال ، وآلمتك وخزات صغارهم . إن جلال الصمت يسود الغاب والصخور أمامك ، فعد كما كنت شبيهاً بالدوحة التى تحب ، الدوحة الوارفة الظل المشرفة على البحر مصغية فى صمتها إلى هديره

على أطراف حقول العزلة تبدأ حدود الميادين حيث يصخب كبار الممثلين ويطن الذباب المسموم . لا قيمة لخير الأشياء فى العالم إن لم يكن لها من يمثلها ، والشعب يدعو ممثليه رجالاً عظاماً . فالشعب يسىء فهم العظمة المبدعة ، فيبتدع من نفسه المعانى التى يجمل بها ممثليه والقائمين بالأدوار الكبرى على مسرح الحياة

إن العالم يدور دورته الخفية حول موجدى السنن الجديدة . وحول لاعبى الأدوار على مسرح الحياة يدور الشعب وتدور الأمجاد ، وعلى هذه الوتيرة يسير العالم

إن للاعب الأدوار ذكاءه ، ولكنه لا يدرك حقيقة هذا الذكاء لانصباب عقيدته إلى كل طريقة توصله لخير النتائج وإلى كل أمر يدفع بالناس إلى وضع ثقتهم به

غداً سيعتنق هذا الرجل عقيدة جديدة ، وبعد غد سيستبدل بها أجد منها . ففكرته تشبه الشعب تذبذباً وتوقداً وتقلباً

إن ممثل الشعب يرى بالتحطيم برهانه ، وبإيقاد النار حجته ، وبأراقة الدماء أفضل حجة وأقوى دليل . إنه ليعتبر هباء كل حقيقة لا تسمها إلا الآذان المرهفة ، فهو عبد الآلهة الصاخبة فى الحياة

إن ميدان الجماهير يغص بالغوغاء المهرجين ، والشعب يفاخر بعظماء رجاله فهم أسياد الساعة فى نظره . ولكن الساعة تتطلب الاسراع من هؤلاء الأسياد ، فلذلك يزحمونك ، يا أخى ، طالبين منك إعلان رفضك أو قبولك ، والويل لك إذا وقفت حائراً بين (نعم) وبين (لا)

وإذا كنت عاشقاً للحقيقة فلا يغرنك أصحاب العقول الرعناء المتصلبة ، وما كانت الحقيقة لتستند يوماً إلى ذراع أحد هؤلاء المتصلبين

دع المشاغبين وارجع إلى مقرك ، فما ميدان الجماهير إلا معترك يهدد سلامتك بين خنوع (نعم) وتمرد (لا) . إن تجمع المياه فى الينابيع لا يتم إلا ببطء ، وقد تمر أزمان قبل أن تدرك المجارى ما استقر فى أغوارها

لا تقوم عظمة إلا بعيداً عن ميدان الجماهير وبعيداً عن الأمجاد ، وقد انتحى الأماكن القصية عنها من أبدعوا السنن الجديدة فى كل زمان

اهرب ، يا صديقى ، إلى عزلتك . لقد طالت إقامتك قرب الصماليك والأدنياء ، لا تقف حيث يصيبك انتقامهم الدساس وقد أصبح كل همهم أن ينتقموا منك . لا ترفع يدك عليهم فأن عددهم لا يحصى ، وما قدر عليك أن تكون صياداً للحشرات . إنهم لصغار أدنياء ولكنهم كثرة . ولكم أسقطت قطرات المطر وطفيليات الأعشاب من صروح شامخات . ما أنت بالصخرة الصلدة ، ولشد ما فعلت بك القطرات ، ولسوف

يتوالى ارتشافها عليك فتصدعك وتحطمك تحطيما

لقد أرهقتك هـذه الحشرات السامّة فخدشت جلدك وأسالت منه الدماء ، وأنت تتحصن بكبريائك لتكظم غيظك ، وهي تودّ لو أنها تمتصّ كل دمك معتبرة أن من حقها أن تفعل لأن دمها الضعيف يطلب دماً ليتقوى ، فهي لا ترى جناحاً عليها إذ تنشب حمتها في جلدك . إن هذه الجروح الصغيرة لتذهب بالألم إلى مدى بعيد في حسّك المرهف ، فتتدفق صديداً يرتعيه الدود . أراك تتعالى عن أن تمد يدك لقتل هذه الحشرات الجاثمة ، فحاذر أن يحول سمّ استبدادها في دمك

إن هؤلاء المشاغبين يدورون حولك بطنين الذباب ، فهم يرفعون أناشيدهم زلفاً إليك ليتحكموا في جلدك ودمك . إنهم يتوسلون إليك ويداهنونك كما يداهنون الآلهة والشياطين ، فيحتالون عليك باللاطفة والثناء ، وما يحتال غير الجبناء

إنهم يفكرون بك كثيراً في سرهم فيلقون الشكوك عليك ، وكل من يفكر الناس به كثيراً تحوم حوله الشبهات

إنهم يعاقبونك على كل فضيلة فيك ولا يغتفرون لك من صميم فؤادهم إلا ما ترتكب من أخطاء . إنك لكريم وعادل ، لذلك تقول في قلبك : « إن هؤلاء الناس أبرياء وقد ضاقت عليهم الحياة » ولكن نفوسهم الضيقة تقول في نجواها : « إن كل حياة عظيمة إنما هي حياة مجرمة » ويشعر هؤلاء الناس بأنك تحتقرهم عند ما تشملهم بعطفك ، فيبادلونك عطفك بالسيئات . إنك لتصدعهم بفضيلتك الصامتة فلا يفرحون إلا عند ما يتناهى تواضعك فيستحيل غروراً . إن الناس يطمحون بالطبع إلى إلهاب كل عاطفة تبدو لهم ، فاحذر الصعاليك لأنهم يحسون بصغارهم أمامك فيتحمسون حتى ينقلب إحساسهم كرها وانتقاماً

أنا شعرت أنهم يخرسون عند ما تطلع عليهم ، فتبارحهم قواهم كما يبرح الدخان النار إذا همدت

أجل ياصديقي ، ما أنت إلا تبكيت في ضمائر أبناء جلدتك لأنهم ليسوا أهلاً لك ، فهم لذلك يكرهونك ويودون امتصاص دمك

إن أبناء جلدتك لن يبرحوا كالحشرات المسمومة لأن العظمة فيك ستزيد أبداً في كرههم لك

إلى عزلتك ، ياصديقي ، إلى الأعالي حيث تهب رصينات الرياح ، فانك لم تخلق لتكون صياداً للحشرات

هكذا تكلم زارا . . .

العفة

أحب الغاب ، فما تسهل حياة المدن على وقد كثر فيها عبيد الشهوات الثائرات

لخير أن يقع الرجل بين براثن سفاح من أن تحدق به أشواق امرأة جامحة ملتهبة

إنك إذا ما تفرست في رجال المدن ، لتشهد لك نظراتهم بأنهم لا يرون في الأرض شيئاً يفضل مضاجعة امرأة ...

في أغوار أرواحهم ترسب الأقذار ، وأشقاهم من تمرغ عقله بأقذاره

ليتك حيوان اكتملت حيوانيته على الأقل ، ولكن أين منك طهارة الحيوان ؟ ما أنا بالمشير عليك بقتل حواسك ؛ إن ما أوجبه إنما هو طهارة هذه الحواس

ما أنا بالمشير عليك بالعفة ، لأنها إذا كانت فضيلة في البعض فانها لتكاد تكون رذيلة في الآخرين . ولعل هؤلاء يمسكون عن التمتع ، غير أن شبقهم يتجلى في كل حركة من حركاتهم

إن كلاب الشهوة تتبع هؤلاء الممسكين حتى إلى ذرى فضيلتهم فتنفذ إلى أعماق تفكيرهم الصارم لتشوش عليه في سكينته ؛ ولكلاب الشهوة من مرونة الزلق ما تتوسل به إلى نيل قطعة من الدماغ المفكر إذا منعت قطعة اللحم عنها ...

إنكم تحبون المآسي وكل ما يفطر القلوب ، أما أنا فلا أثق بكلاب شهواتكم لأن نظراتكم الرصينة تمتلىء شهوة عندما تقع على المتألمين ؛ وقد تنكر الشبق فيكم فدعوتموه إشفاقاً . وإني لأضرب لكم مثلاً على هذا : حالة العدد الوفير ممن أرادوا طرد الشياطين فدخلوا هم في الخنازير بدلاً منها

إذا ما تقلت العفة على أحد منكم فعليه أن يعرض عنها كيلا تنبسط أمامه سبيلاً إلى الجحيم ، جحيم أقذار النفس ونيرانها

لعلكم ترون بذاءة في كلامي ، أما أنا فأرى البذاءة حيث لا ترونها أنتم

ليست البذاءة في قذارة الحقيقة ، بل هي في تدنيها وإسفافها ، وطالب المعرفة يأنف من الانحدار إلى مهاويها

إن من الناس من دخلت العفة قلوبهم فلانت هذه القلوب لهنا . أولئك هم الضاحكون وفي ابتسامهم ما ليس في ابتسامكم من إخلاص . إنهم يهزأون بالعفة ويتساءلون عما يمكن أن تكون